مجلة آفاق سينمائية | المجلد: 07 والعدد: 01 | السنة: 2020 | ص 332 – ص 347

تجليات قيم المواطنة في الفيلم الثوري الجزائري –قراءة في فيلم دورية نحو الشرق –

The manifestations of the values of citizenship in the Algerian revolutionary film -Read in a periodical towards East–

عبد الرزاق بوعزيز [1]*، تحت إشراف أ.د. شرقي محمد [2]

[1] جامعة وهران1، الجزائر، younes.mosta.oran@gmail.com

[2] جامعة وهران1، الجزائر، med_chergui@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/04/01 تاريخ القبول: 2020/05/21 تاريخ النشر: 2020/06/01

ملخص:

ارتبطت السينما الجزائرية بتصوير الواقع الثوري منذ ولادتها الأولى من رحم الثورة التحريرية المجيدة، تشاكلت مواضيعها في وحدة فنية وثيقة، حول معاناة أمة بأكملها في زمن الاستدمار الفرنسي الغاشم، وامتد ذلك التصور للمفهوم السينمائي الجزائري إلى ما بعد الاستقلال، حيث أصبح التاريخ الثوري مادة دسمة لكتاب السيناريومن خلال استرجاع الذاكرة وإبراز عمق الهوية الوطنية، فانتصرت المواضيع المتناولة في الأيقون السينمائي الجزائري للبطولات الفردية والجماعية، التي قدسها التاريخ وعزز مكانتها في قلوب الجزائريين، الأمر الذي أعطى أهمية بالغة في ترسيخ قيم المواطنة لدى الفرد .

ولعل أنموذج التطبيق لهذه الدراسة، فيلم "دورية نحوالشرق" للمخرج الجزائري "عمار العسكري" دليل قاطع على تجليات قيم المواطنة وصورة واضحة لماهية التجسيد المادي لمفهوم البطولة الفردية والجماعية وكيف تجانست هذه الثنائية لمواجهة إكراهات الغزو الاستدماري المسلط من قبل فرنسا العدو، ومنه يمكن صياغة إشكالية الموضوع على النحو التالي: كيف يتجلى المعادل الموضوعي والمكافئ المادي لقيم المواطنة في الفيلم الثوري الجزائري؟ وماهي تمظهراتها الفنية والجمالية في فيلم "دورية نحو الشرق"؟

كلمات مفتاحية: الفيلم الثوري، الصورة السينمائية، التاريخ الثوري، المواطنة.

Abstract:

Algerian cinema was associated with depicting revolutionary reality from its first birth from the glory of the glorious editorial revolution, its themes formed in a close artistic unity, about the suffering of an entire nation during the time of brute French colonialism, and that perception of the Algerian cinematic concept extended until after independence, where revolutionary history became a creamy material for a book The scenario by restoring memory and highlighting the depth of the national identity, so the topics discussed in the Algerian cinematic icon won the individual and collective championships, which was sanctified by history and strengthened its place in the hearts of Algerians, which gave great importance to the consolidation of the values of Almo Attenuity with the individual.

Perhaps the application model for this study, the film "Patriot towards the East" by the Algerian director "Ammar El-Askari" is conclusive evidence of the manifestations of citizenship values and a clear picture of what is the material embodiment of the concept of individual and collective heroism and how this duality is homogeneous to face the constraints of the destructive invasion dominated by the enemy France, and from it can be formulated The problem of the topic as follows: How is the objective equivalent and material equivalent of citizenship values reflected in the Algerian revolutionary film? And what are her artistic and aesthetic appearances in the movie "Toward the East"?

Key words: revolutionary film, cinematography, revolutionary history, citizenship.

مقدمة:

ارتبطت السينما الجزائرية بتصوير الواقع الثوري منذ ولادتها الأولى من رحم الثورة، فكانت ولا تزال صورا ولقطات تعكس حياة أمة بكاملها ومعاناة شعبها في فترة الاستعمار الفرنسي، مترجمة التاريخ الثوري المجيد لرجال أبوا إلا أن يحققوا الاستقلال أو يدونوا الشهادة بدمائهم في سجل التاريخ، كاشفة كذلك حياة ومعاناة الشعب الجزائري وزرع روح الثورة فيه مهتمة باسترجاع وتجسيد الهوية الوطنية، عبر إعادة تجسيد الشخصية الثورية، وهذا لما تحمله من أسمى قيم المواطنة في صورة سمعية بصرية. السينما الجزائرية أنتجت العديد من الأفلام الثورية والتي تعكس التاريخ الثوري المجيد، اخترنا إحداها للمخرج الراحل **عمار العسكري** بعنوان "**دورية نحو الشرق**" لما يحويه من شخصيات تحمل الكثير من القيم السامية والنبيلة والتي تعد خير مثال يحتذي به جيل اليوم، حاولنا من خلاله استخراج بعض قيم المواطنة، ويبقى هذا الفيلم خير شاهد عن حياة الشعب الجزائري وبطولات مجاهديه وجرائم فرنسا في حق شعب طالب فقط بحقه في استرجاع أرضه وسيادته وحريته.

1-أهمية التاريخ في بناء الشخصية السوية وتعزيز المواطنة لديها:

عند الحديث عن معالم المواطنة في السينما الثورية الجزائرية تعترضنا أهمية بالغة في توظيف الأحداث التاريخية ضمن أفلام سينمائية، وهذا لما للتاريخ من جلاله في القلوب، وما يرويه من بطولات وسير لشخصيات تبقى دائما قدوة يحتذي بها الجيل الجديد، يشير أبو القاسم سعد الله إلى وجوب العودة إلى التاريخ للاقتداء به قائلا: "التبصر الدائم القريب والبعيد الذاتي والموضوعي الحاصل، أي التبصر من خلال التوغل المركز في قراءة صفحات التجارب البشرية الكثيرة والمتنوعة وفحصها وتدبر أبعادها وخلفياتها، واكتشاف المؤثرات التي ساهمت في بعثها وإيجادها قصد التزود والاعتبار" [1] أي من واجب الجيل الجديد اليوم البحث في التاريخ والوعي به وفهمه فهما صحيحا، ليعينه على بناء الشخصية السوية ويقيها من العيش بحثا عن الذات، داعيا كذلك الأمة العربية والإسلامية إلى العودة

والبحث في ثنايا التاريخ لما كان يعيشه العرب والمسلمون من قوة ومكانة، ويقارنون أنفسهم ليحددوا الخلل الذي كان سببا في ضعفهم اليوم وخذلانهم، مخاطبا المؤرخين قائلا : "... فلا كنف هنا بدعوة المؤرخين ولا سيما طلاب التاريخ في المعاهد والجامعات إلى الاهتمام بتاريخ الأمة العربية والإسلامية في شموليته وإلى إعادة النظر في المعطيات التاريخية التي يقدمها الآخرون عنا، وإلى التسلح بالمناهج العلمية لمواجهة تحديات المرحلة" [2] التاريخ هو مادة ورصيد مخزن عبر الأجيال يلجأ إليه أبناء المجتمع الواحد الذي يجمعهم ذلك التاريخ، هذا الرصيد هو نتاج عديد التجارب الماضية وابتكارات العظماء وسيرهم، والعودة إليهم هو أخذ بذرة الصلاح وزرعها في جيل المستقبل، و"التاريخ أيضا عرض الأمة كما سماه كاتب العربية الأكبر عباس محمود العقاد"[3]،وأشار إليه أحمد شوقي قائلا: "مثل القوم أضاعوا تاريخهم .∴ كلقيط عي في الحي انتسابا"[4] لا مستقبل لمجتمع لا يدرك فعلا حقيقة أصله وانتمائه، وتاريخ الأمة يحميه أبناؤه تاركين الدرب لأجيال ستأتي بعدهم لتعيش على منوالهم، متشبعة بسيرهم وقيمهم مقدسة بذلك القيم الوطنية لهم .

2-أهمية التاريخ المصور في تعزيز المواطنة بين أفراد الوطن الواحد:

إذا كان للتاريخ المكتوب أهمية لدى المهتمين به فإن للتاريخ المرئي والمسموع أهمية أكبر، هكذا صرح المخرج السينمائي الروسي **إيزنشتاين** قائلا: "إذا كانت الوثيقة التاريخية تكتسب أهميتها كونها شاهدا مكتوبا على ما يجري من أحداث في العالم، فإن للوثيقة السينمائية أهميتها في كونها شاهدا بالصوت والصورة والكتابة معا"[5] تلعب الصورة السينمائية دورا كبيرا في استرجاع الماضي القريب والبعيد وتعد وسيلة سهلة لطرحه وتعليمه لمختلف شرائح المجتمع خاصة الذين لا يعرفون القراءة، والمجتمع الجزائري الذي عرف بأمية أبنائه الذين عايشوا فترة الاستعمار الفرنسي، فكانت السينما ولازالت خير أداة تعليمية وتوعوية وترفيهية في أن واحد، أكد هذا الطرح الكاتب الجزائري **رشيد بوجدرة** في كتابه (ولادة

السينما الجزائرية) قائلا:"...في بلد فيه نسبة الأميين يشكلون الأغلبية، فتبقى الوسيلة الوحيدة للتربية والتعليم السينما لأن الذي لا يقرأ يفهم ما يرى ويسمع " [6] استند بقوله هذا إلى الجهل والأمية التي خلفها الاستعمار الفرنسي والتي تمثلت في تغريب المرجعية التاريخية للشعب الجزائري دينيا وسياسيا وعقائديا وثقافيا ولغويا ... .

السينما عنصر مهم في تعليم التاريخ وغرس الهوية الوطنية عبر استرجاع الذاكرة الثورية، " يتفق الباحثون في هذا الميدان وعلى رأسهم **مارلا فيرو** على اعتبار السينما وجه من أوجه الذاكرة الجماعية ومن شأنها أن تحفظ وقائع الشعوب وذكرياتهم، منذ اكتشاف الصناعة الدرامية أو الفيلمية –بحسب توصيفه مهما كان نوعها– صارت الصورة المصحوبة بالصوت وثيقة تاريخية " [7]، السينما هي وسيلة يلجأ إليها المشاهد لإحداث متعة المشاهدة دون تكليف، ولكن دائما ما تكون مرفوقة بأهداف أخرى تعليمية أو دينية أو وطنية أو سياسية حسب التوجه الذي اختارته مؤسسة الإنتاج السينمائي، كذلك " للإبداع السينمائي دور مهم في صيانة الذاكرة التاريخية للأمة، وذلك لما أصبح للسينما والوسائل السمعية البصرية من ثقل في توجيه الرأي العام وغرس القيم وصهر الذهنيات والقناعات، خصوصا عند استحضار ضعف القراءة والشغف بالتلفزيون والسينما، ومن ثم سهولة إذكاء جذور التاريخ والذاكرة والافتخار بالأمجاد في نفوس الأجيال الصاعدة عبر هذه الوسائط ... وللسينما دور فعال في صنع تمثلات المجتمع وقيمه وأحلامه " [8] .

الدراما الجزائرية "ولجت عالم الفن وهي تحت حريق الاستعمار أي من العهد الكولونيالي، بحيث سعت أن تكون مطرقة في وجه الإيديولوجيا الاستعمارية من الوهلة الأولى، ساهمت في التوثيق والتأريخ لماض نضالي مجيد، هكذا هي الدراما الثورية الجزائرية، ولدت كبيرة من رحم حدث أكبر، سينمائية كانت أو تلفزيونية، هي كفاح لا يقل عظمة وخلودا عن الكفاح المسلح، نضال بالقلم والصورة ومكنون فني تاريخي ما فتئ يجسد مشاهد مرئية لشواهد واقعية، هكذا عرف جيل ما بعد الاستقلال ثورة التحرير وعاش

تفاصيلها الزمانية والمكانية، من خلال هذا الأرشيف الإعلامي المرئي الذي وصل إلينا حافلا بأبناء الأمس، مذكرات تاريخية تفيض وتزخر بالقيم الوطنية "[9] هي أفلام سينمائية أخرجها وشارك في تمثيلها رجال اختاروا الجهاد بالصورة السينمائية وأبوا إلا أن يحاربوا فرنسا بأبسط الوسائل التي أتيحت لهم، هي أفلام لا زالت تشاهد إلى يومنا هذا، ارتبطت بتصوير ومحاكاة الأحداث الواقعية التي عاشها شعب كامل في أصعب المحن وهي محنة الاستعمار، تجسدت في شخصيات وطنية خلفتها شهادات المجاهدين الذين عايشوا الثورة وكتب التاريخ، ثم أعادت السينما تجسيدها تحت ضوء الكاميرا لتعرض ويشاهدها جيل الاستقلال، معبرة عن أسمى قيم الشجاعة والبطولة والتضحية .

3–مفهوم المواطنة وأهميتها في بناء الشخصية الوطنية:

وقبل أن نتطرق إلى تجليات المواطنة في الفيلم الثوري الجزائري ودورها في تعزيز المواطنة بين أفراد المجتمع بمختلف شرائحه وتوجهاته واختلافه العرقي واللغوي، بودنا أن نشير أولا إلى مفهوم المواطنة، هذا المصطلح الذي تشعبت وتنوعت حوله المفاهيم بين المواطنة الدينية والمواطنة الاجتماعية والمواطنة السياسية ...، والذي سيأخذ منا الكثير إذا ما أردنا الغوص فيه، لكن سنحاول توضيح المصطلح بإيجاز، فعرفت المواطنة بأنها: "تمتع الشخص بحقوق وواجبات وممارستها في بقعة جغرافية معينة لها حدود محددة، يعرف في الوقت الراهن بالدولة القومية الحديثة التي تستند إلى حكم القانون ... وفي دولة المواطنة جميع المواطنين متساوون في الحقوق والواجبات ولا تمييز بينهم بسبب الاختلاف في الدين أو النوع أو اللون أو الموقع الاجتماعي ..."[10] إذا المواطنة هي شعور الأشخاص بالانتماء إلى مكان له حدوده الجغرافية، تجتمع في هذه الأشخاص عدة مقومات مثل الدين الواحد، التاريخ المشترك، العادات والتقاليد المتعارفة والموروثة بينهم. الشعور والرغبة في الانتماء لهذا الوطن ناتج عن العدالة والمساواة في توزيع الحقوق والواجبات، التي من شأنها أن تزرع

فيهم حب الوطن والدفاع عنه، تلك الحقوق والواجبات التي تجعلهم يتبادلون المنافع بينهم لما يعود على الوطن بالرقي والأمن والازدهار، لكن تلك العدالة يجب أن تطبق استنادا إلى حكم القانون المشرع من قبل حكماء وخبراء أفراد ذلك الوطن.

يعرفها العلامة عبد الحميد بن باديس الذي لقبه البعض برائد الإصلاح الإسلامي والتربوي في الجزائر، بأن المواطنة ليست مجرد ثروات وخيرات يتقاسمها الجماعات والأفراد فيما بينهم، ولكنها إلى جانب ذلك حضارة وقيم وذكريات وآمال وطموح، الانتماء إلى الوطن عنده يقترن بمدى معرفته بتاريخه والمحافظة على شرف اسمه وسمعته، مؤكدا في نفس الوقت بأن المواطنة بمعناها (الانتماء إلى مكان المولد والتربية) دفينا في كوامن النفوس ككل غريزة من غرائزها، لا سيما في أمة تنسب إلى العروبة وتدين بالإسلام مثل الأمة الجزائرية ذات التاريخ المجيد، مضيفا إلى ذلك أن انتساب الأفراد إلى الوطن الواحد هم تلك المجموعة التي تربطهم ذكريات الماضي ومصالح الحاضر وآمال المستقبل، فالذين يعمرون هذا القطر تربطهم هذه الروابط هم الجزائريون [11] . التاريخ الذي ينتمي إليه كل فرد من هذا الوطن مشبع بقيم المواطنة، تلك القيم المتجذرة في الشخصية الجزائرية من التاريخ الإسلامي للبلاد و"الثورة الجزائرية قامت على الدين، وإن عاطفة الوطنية امتزجت بعاطفة الدين فكونت خلفية متينة جعلت من المستحيل قهرها بقوة السلاح ولهيب النار"[12]. إذا مرجعية الشخصية الثورية الجزائرية المشبعة بالوطنية هي الدين الإسلامي، لما يحويه من قيم سامية تمثلت في مكارم الأخلاق وصبر وتعاون وثبات عند الشدائد، والرضا بقضاء الله وقدره والشجاعة والأخوة والتكاتف في مجابهة المحن والمصائب وغيرها، الوطن أكبر من المساواة في تقسيم الخيرات والحقوق وأسمى من ذلك، الدفاع عن الوحدة الجغرافية والوحدة الدينية، الثقافية، الاجتماعية، السياسية والاقتصادية، وكل ما من شأنه أن يهدد أمن الوطن واستقراره في جميع الميادين. هكذا كان الإيمان بالقضية الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي.

4-تجليات قيم المواطنة في فيلم دورية نحو الشرق:

التاريخ الثوري الجزائري كـفيل بأن يشرف اليوم في المواقف الوطنية والعربية وحتى العالمية، عبر الصورة السمعية البصرية كأحسن وسيلة لنشر الوعـي واسترجاع الالتحام التـاريخي للثورة مع شعبها ضـد الاستعمار، من بين أفلام الثورة التي حازت في نفوس الكثير من الجزائريين، والتي تندرج ضمن الأفلام الجميلة والمؤثرة لنيلها العديد من الجوائز، فيلم "دورية نحو الشرق" من إخراج أحد قامة السينما الجزائرية وواحد من الذين شربوا من مياه الثورة حتى ارتووا، الراحل "عمار العسكري"، اخترنا هذا الفيلم لما يحمله من القيم الرفيعة والتي من شأنها أن تعزز المواطنة بين الجزائريين.

يحكي الفيلم مهمة عسكرية لمجموعة من المجاهدين في جبال الشرق الأوسط الجزائري، تمثلت في تسليم جندي فرنسي مسجون إلى قيادة الثورة، وفي طريقهم يترصدون فردين من إحدى القرى فارين وقد قام الاستعمار بالتنكيل بأهاليها، في هذه اللحظة اغتاظت المجموعة لهذا الظلم وأرادت الخروج عن المهمة الموكلة إليهم قليلا والانتقام لأهالي الدشرة التي أحرقت عن آخرها، ثم في مشاهد أخرى تظهر قوة عسكرية كبيرة تمشط الجبال مطاردة أعضاء الدورية، فيحدث عنه اشتباك كان سببه أحد أعضاء الفرقة بعد أن فقد أعصابه جراء رؤيته للقصف العشوائي من قبل مدافع فرنسا تضرب القرى والمداشر، لتتمكن الدورية من الفرار عن تلك القوة المدججة بالمدافع، تتوالى الأحداث وتقترب المجموعة من تحقيق المهمة وتبقى لها مرحلة أخيرة صعبة، وهي عبور الأسلاك الشائكة والمكهربة والحقل الملغم بالقنابل، لكن يكشف أمرهم بعد سقوط أحد أفرادها للمسه السك المكهرب، ويسقط معظم المجاهدين تحت انفجار الألغام وآخرون في اشتباك مع الجنود الفرنسيين، بعد حصارهم سانحين الفرصة لابتعاد أحد أفراد المهمة مرفوقا بالسجين، تنجح المهمة بتسليم السجين إلى المجاهدين بالمنطقة الثانية وهو مكان التسليم، لتنتهي أحداث الفيلم مصورة استمرارية الثورة التي

تجسدت في مشهد لأعضاء فرقة من المجاهدين تحمل نفس أسماء المجاهدين الذين سقطوا شهداء في المهمة.

فيلم "دورية نحو الشرق" عبارة عن مشاهد مقتبسة من أحداث تاريخية تأثر بها "عمار العسكري" قبل المشاهدين، تترجم الثورة التحريرية المجيدة وتقرب الحقائق التاريخية على شكل رسائل فنية، تمجد القضية الجزائرية وتحرك عنفوان الوطنية في نفوس الجزائريين على اختلاف شرائحهم وانحداراتهم، مترجمة هوية شعب عاش التغريب والطمس طيلة فترة الاستعمار، إذا هي رسائل تصور حياة الشعب الجزائري في القرى والمداشر وحياة الثوار في الجبال، هي صور تحمل الكثير من القيم الدينية والاجتماعية .... .

نلمس في المشاهد الأولى من الفيلم تصوير الحياة اليومية للشعب، إذ نرى في مدرس القرآن يلقن كلام الله إلى الأطفال تحت الشجرة، والمجاهدين يؤدون فريضة الصلاة، هي صور كفيلة بأن توضح أن هذا الشعب الذي رضي بالإسلام دينا، هو متيقن بأن بناء الشخصية الثورية يبدأ مـن استرجاع الهوية الدينية أولا، والتي تمثلت في ديننا الإسلامي الذي حاولت فرنسا استبداله بالمسيحية، وأداء المجاهدين للعبادات الدينية هو خـير دليل على استقامتهم وحسن أخلاقهم، هي رسالة إلي جيل اليوم تتمثل بالعودة إلى تعاليم ديننا الإسلامي والمحافظة علية وإحيائه في قلوب أبنائنا، كي يحفظنا هومن شقاء الدنيا وصعابها .

وفي محطة أخرى تبرز ما مدى رفعة أخلاق المجاهدين، التي تمثلت في الرفق بالجنود الفرنسيين الأسرى عندهم، والتي مثلها في صورة الأسير الذي كلفت الفرقة العسكرية بتسليمه إلى مركز القيادة الثورية بالناحية الشرقية، هذه الميزة دونها التاريخ قبل أن يعرضها المخرج في فيلمه السينمائي، هي شهادة الفرنسيين بأنفسهم على حسن معاملة المجاهدين للأسرى الفرنسيين، تمثلت في مدونة لصحفي فرنسي زار ولاية وهران كتب فيها : " ومما لاحظته أثناء مقامي في المناطق التي زرتها، أن جنود جيش التحرير يحترمون بكل دقة

قوانين الحرب، وقد شاهدت بعيني أسيرين فرنسيين يعيشان بين الجنود يأكلان مما يأكلون، ويطلعان الصحف، ونحن لسنا بحاجة أن نورد أسماءهم "[13] هي الدقة في تنفيذ قوانين وقرارات جبهة التحرير الوطنية والتي تمثلت في حسن معاملة أسرى الحرب، هذه الميزة التي حذوا من خلالها حذو رسولنا الكريم –صلى الله عليه وسلم– في معاملته لأسرى الحرب، لمسناها في الفيلم أثناء معاملة الدورية المكلفة بالمهمة للجندي الفرنسي، الذي قاسموه المأكل والمشرب والمبيت والعلاج، إذا فهي خير صور وخير شهادة تجسد حسن أخلاق وإنسانية أفراد ثورة التحرير عكس الاستعمار الذي عذب وقتل ونكل بالمجاهدين في السجون .

ضمن قيم المواطنة في الشخصية الثورية كذلك هو ترديد مصطلح "إخواني" أو" يا الخاوة" أو "حنا خوتكم" وغيرها من قبل رجال الثورة وعامة الشعب، هي قيمة اجتماعية خلقية رفيعة ميزت أفراد الثورة بصفة خاصة والشعب الجزائري بصفة عامة، تآخوا في قضية رفع الضرر عن الوطن الواحد، هي حياة مشتركة ومعاناة تقاسمها جيل الثورة فكان التعاون والتآخي سبيلهم لرفع الغبن، يجمعهم تاريخ واحد ومصير واحد، وطموح واحد وحلم واحد تمثل في الاستقلال. كما لمسنا ترديد عبارة " تحيا الجزائر" قبل بداية أي اشتباك مع العدو، هذه العبارة التي تعد حافزا معنويا للمجاهدين ودرجة عالية من حب الوطن ورمزا لأسمى قيم المواطنة والوفاء له، هي صور تعدت الجهوية والتفرقة العرقية.

هناك صورة أخرى أرادها العسكري صريحة فـي انتماء المجاهدين والشعب الجزائري لتراب وطنه، خاصة المناطق التـي حرمتها فرنسا على الجزائريين في الجبال، كانت هذه عبارات رددها قائد الثورة في خطاب له عند تحديد أفراد الفرقة التي ستكلف بالمهمة، قائلا : "راكم تشوفوا في الأرض هذه، جبل مليلة، عين صالح، جبل لوراس، جبل جرجرة، جبل واد سنيس، الاستعمار سماهم Zone interdit ... هذه أرضنا ورانا عايشين فيها، والشعب تاعنا راه عايش في أرضو، مهما كان الثمن، ما نسلموش فيها حتى النصر وإلا الاستشهاد"[14]، هي قيمة التمسك بالأرض والدفاع عنها، هي فطرة حب الانتماء إلى منطقة

المولد والنشأة، الذي يعد التراب الوطني باختلاف تضاريسه ومـــناطقه المكان المحبب فطريا لكـل جزائري ولـــد وتـــربى فيه، هـــي رسالة إلى جيـل اليوم تمثلت في أن الجـــزائر بترابها ملك للجزائريين ولن يرضوا بتقاسمها مـــع أي أجنبي يريد احتلالها، هي ميزة أخرى ميزت المجاهدين، وخير حافز يدفعهم للتضحية في سبيل استرجاع سيادته على أرضه .

فـي الفيلم كذلك صورة لمساندة عامة الشعب للثورة والمجاهدين، تجسدت في ترحيب العائلات الموجودة في القرى والمداشر بالثوار، وإمدادهـم بالطعام والشراب والمبيت أحيانا، تمثلت في تـرحيب عائلة "بوبكر" بأفـراد المـهمة فـــي الجبال وتقديم المعونة لهم من أكل وشرب وأفرشة، رغم بساطتها لقلة الإمكانيات وفقر هذه العائلة، بل أكثر من ذلك قامت العـائلة بإمداد المجموعة بابنها "بوبكر" وهـــذا بـطلب مـن قائد الفرقة "سي محمود "، بعد أن لاحظ أن هناك قوة فرنسية كبيرة تمشط المنطقة، هي مشاهد تصـــور أسمـى قيـم التـآخي والالتحام بالثـورة ودعمها بالنفس والنفيس، مقتنعين أنـه لا يوجد ما هو أغلى من الوطن .

كذلك اللقطات الأخيرة لاستشهاد كل من "قدور 24" و"العربي" في حصار من قبل الاستعمار تبرز أسمى قيم الانضباط والشجاعة والتضحية في سبيل نجاح المهمة، تمثلت في تفضيلهما الشهادة على أن يكونا أسيرين، حيث يمكن أن يضعفا تحت تأثير التعذيب فينتج عنه التبليغ عن مخبأ المجاهدين مثلا، هي كذلك صورة استلام العربي لقيادة المهمة وأخذ الوثائق السرية للثورة من القائد "سي محمود" قبل سقوطه شهيدا في الحقل الملغم، هي دليل آخر على التنظيم الجيد والمحكم للمجاهدين وتوزيع المهام بالنيابة عند سقوط أحد القادة المجاهدين، كل هذا نجده مؤرخا في الفصل الثاني من دليل المجاهد على النحو التالي : " على المجاهد أن يركز في نفسه حب الوطن وأن يكون متفانيا في خدمة إخوانه، وأن يشاطر كلا منه آلامه، كما يطلب منه التخفيف من كل ما أصيب منهم بنائبه، وعلى المجاهد أن يكون مثالا للسيرة الحميدة والشجاعة لجميع إخوانه، وأن مساعدته لهم فرض عليه، خاصة في أوقات الكفاح المشترك " [15]، إذا هي مزايا وقيم يجب أن يتحلى بها كل جزائري التحق

بصفوف جبهة التحرير الوطنية، أما عن الشجاعة فيمكن القول أننا لمسناها طيلة أحداث الفيلم كله، إذ يبرز المخرج شخصيات فيله في أسمى القوة والبسالة حتى تظهر لنا خالية من الزلات والشوائب كالخوف ... فيصورهم أبطالا ملحميين يسارعون للشهادة غير مبالين بالمخاطر وقساوة التضحية.

هي قيم كثيرة وردت في هذا الفيلم الذي أبدع عمار العسكري في تصوير مشاهده التي ختمها بلقطات الشهادة، التي قوبلت بنجاح المهمة إذ يتمكن بوبكر بإيصال السجين إلى المكان المنشود، أين يفاجأ بفرقة من المجاهدين تحمل نفس أسماء المجاهدين الذين سقطوا أثناء تنفيذ المهمة، "هذا الزمن الدائري يستدعي استحضار الاستمرارية الثورية التي لا تنتهي بانتهاء المهمة واستشهاد أعضائها بل تواصل المد واللهب الثوريين المفتوحين على إصرار المواصلة وتحقيق الانتصار الذي يتجلى رمزيا بسمو الروح رغم فناء الجسد " [16]، كذلك يمكن اعتبارها رسالة إلى الجيل الجديد في الحذو بحذو الشهداء والحفاظ على البلد وأمنه واستقراره .

يحمل الفيلم من بداية أولى لقطاته إلى آخرها العديد من القيم الرفيعة التي ميزت الشخصية الثورية الجزائرية، والتي يمكن تلخيصها في النشيد الذي كان يردده المجاهدون المسبوق بدقيقة الصمت على أرواح الشهداء الطاهرة " ... إخواني لا تنسوا شهداءكم، اللي ضحاو في حياة البلاد، بالدموع والدماء نرثي ثراكم ... صوتهم من القبور يناديكم، اسمعوا لهذا الصوت يا عباد، الإتحاد عنواننا، التضحية شعارنا، الحرية غايتنا، يحيا الوطن، للوطن نبيع كل أنفسنا، لا نرضى بمعيشة الهوان، الإتحاد عنواننا، التضحية شعارنا، الحرية غايتنا، يحيا الوطن "، هي عبارات صريحة وواضحة تحمل بين طياتها الكثير من قيم المواطنة، تنوعت بين الشجاعة والحب والوفاء للوطن والاتحاد والوفاء كذلك لوصية الشهداء المتمثلة في مواصلة الكفاح، والتي شبهها بصوت ينادي الأحياء من القبور نحو التحرر من قيود المستعمر وطغيانه، فكان الرد من المجاهدين بوعدهم المتمثل في رثاء الثرى بالدموع

والدماء، إذا هو نشيد يتلقاه كل فرد جزائري يشاهد الفيلم فيحيى حياة المجاهدين ويحس بأحاسيسهم، فتدفعهم إلى الاعتزاز بالشخصية الثورية الجزائرية ونضالها كما تجعلهم يحبون هذا الوطن أكثر ويتمسكون بحريته التي كان ثمن تحقيقها غال جدا .

كانت هذه بعض القيم التي تجلت في الفيلم الثوري الجزائري "دورية نحو الشرق" سيناريو وإخراج "عمار العسكري"، تلك القيم التي يجب على جيل اليوم العودة إليها. هي أحداث تاريخية من شأنها أن تعزز المواطنة بين الأفراد الجزائريين، تاركين خلفهم ذلك التقسيم وتلك الشوائب التي أصابتهم، على حسب قول أبي القاسم سعد الله : " لدي شعور تدعمه الشواهد والمعايشة وهو أن الجزائري يمر بمرحلة اكتشاف الذات، فهو لم يدرس تاريخ الجزائر الشامل، ولا تاريخ العرب والإسلام ولا تاريخ العالم ... وبدل الاهتمام الجزائري بما في وطنه من وحدة وتنوع من ثورة وقوة، أخذ يهتم بعرشه وعشيرته وقريته ومدينته ... هذه المخيلة الضيقة تنتج عنها جهل أو تجاهل للآخرين والتقوقع الذاتي" [17]، هذا التقوقع الذاتي الذي يعيشه اليوم الجزائريون ومعظم الشعوب العربية نتج عن سوء تسيير من قبل بعض الأشخاص الذين يمثلون الدولة التي من المفروض هي من تعمل على حماية حقوق المواطنين وتقوية المواطنة لديهم، عبر تحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية التي حرم منها الشعب البسيط الذي نتج عنه اتساع الفجوة بينه وبين الحكومة، فنتج عنه الفرار عن المسؤوليات والتفاني في خدمة البلاد والعباد والخروج من البلاد أحيانا أخرى عبر قوارب الموت باحثين عن حياة أفضل مفرطين في بلدهم الأم، والحديث في هذا الشأن مطولا لا يسعنا التوسع فيه، لكن آن الأوان للدولة أن تضع مخططا تعمل من خلاله على استرجاع الهوية الوطنية وغرس قيم المواطنة بين أفراد المجتمع الجزائري، واتخاذ الصورة السمعية البصرية كإحدى الوسائل الناجعة في نشر الوعي الوطني بالعودة إلى التاريخ المصور في أفلام سينمائية، خاصة كما قلنا آنفا أن هذا الجيل اشتهر بنقص القراءة والميل إلى مشاهدة الأفلام السينمائية، لما تحدثه من متعة المشاهدة، المرفوقة بالتوعية وتنوير العقول، توعية

هذا الجيل نحو وجوب الابتعاد عن الانقسامات العرقية واللغوية التي تعمل بعض الأطراف جاهدة على تحقيقها، والابتعاد كذلك عن الاختلافات الفكرية والدينية والثقافية ...، واعتماد الحياة التي سنها رجال جيش التحرير الوطني والتي عاشوا على منوالها حتى حققوا لنا الحرية التي ننعم بها اليوم، ناسين اتحادهم وتآخيهم وتضحياتهم، وجب علينا اليوم نحن الحفاظ عليها من كل تهديد خارجي أو داخلي مندس بين أفراد هذا المجتمع الواحد .

خاتمة:

كانت وستبقى الصورة السينمائية أو التلفزيونية من أهم الوسائل التي لها وقع كبير في ذهن المشاهد تجاه مختلف القضايا، خاصة قراءة التجارب البشرية واسترجاع التاريخ البعيد والقريب، الذي يربط الأجيال ببعضها البعض والذي يمثل هويته الوطنية، التي تتجسد في التاريخ المشترك والدين الواحد واللغة الموحدة والعادات والتقاليد وغيرها. الفيلم الثوري الجزائري هو أحداث تترجم تاريخ الشعب الجزائري في فترة الاستعمار ونضال أبنائه في سبيل تحقيق الحرية واسترجاع الكرامة والسيادة الوطنية، هي أحداث تاريخية من شأنها أن تعزز المواطنة بين الأفراد الجزائريين، صورها المخرج الجزائري الراحل عمار العسكري في فيلمه دورية نحو الشرق، كنموذج للعديد من الأفلام الثورية التي خلفتها السينما الجزائرية. تصوير الحياة التي سنها رجال جيش التحرير الوطني، والتي عاش على منوالها المجاهدون حتى حققوا لنا الحرية التي ننعم بها اليوم. استـرجاع الالتحـام التـاريخي للثورة هو خير مثال لجيل اليوم كي يتحد ويبتعد عن ذلك التقسيم العرقي والاختلاف الفكري واللغوي والديني وغيرها، واللجوء إلى بناء الشخصية الوطنية وفق قيم الشخصية الجزائرية الثورية التي يجمعها النضال المشترك والدين الواحد واللغة الموحدة والعادات والتقاليد المتعارف عليها جيلا بعد جيل، ومحاربة كل عدوان خارجي كان أو داخلي يحاول زعزعة هذه القيم وطمس الهوية الوطنية للشعب الجزائري.

الإحالات والهوامش

[1] سامية مرابطين ، دور الوعي التاريخي في بناء المقاومة الثقافية للمجتمع الجزائري ، قراءة في فلسفة التاريخ لأبي القاسم سعد الله ، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية ، المدرسة العليا للأساتذة ، قسنطينة ، العدد5 ، ص 310 .

[2] م ن ، ص 311 .

[3] أحمد عبد اللطيف ، مفهوم التاريخ و التاريخ علم أم فن و أهمية التاريخ ، الأربعاء 12 أوت 2016، ص 07. http .//ahmedabdullatief.blogspot.com/2015/08/blog-post62html

[4] م ن ، ص 07 .

[5] مراح مراد ، الفيلم الروائي بين حرفية الحادثة التاريخية و التخيل السينمائي – أفلام ميل قيبسون أنموذجا (القلب الشجاع – آلام المسيح) مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه ، جامعة وهران 01 ، (2018-2019) ص (136-137) .

[6] مليكة بوخاري ، صورة المرأة الجزائرية و المرأة الأجنبية في أفلام الثورة التحريرية (من 1963إلى 1993)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، علوم و الإعلام و الاتصال ، جامعة الجزائر 03 ، ص 83 .

[7] برحيل سمية ، دور الدراما التاريخية الجزائرية في ترسيخ قيم المواطنة لدى الشباب – دار الحريق أنموذجا ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، قسم علوم و الإعلام و الاتصال ، جامعة وهران 01 (2018-2019) ، ص 202 .

[8] جلال زين العابدين ، التاريخ في السينما المغربية ، مجلة السينما العربية ، العدد 3 و 4 ، 2015 ، ص 138 .

[9] برحيل سمية ، م س ، ص 205.

[10] فاطمة الزهراء ثنيو ، أي دور للإعلام الجديد في تعزيز قيم المواطنة ، جامعة صالح بونبيدر ، قسنطينة ، ص 48 .

[11] ينظر برحيل سمية ، م س ، ص 313 .

[12] محمد زروال ، الحياة الروحية في الثورة الجزائرية ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ، 1994 ، ص 105 .

[13] بسام العسلي ، جيش التحرير الوطني ، دار النفائس للنشر و التوزيع ، لبنان ، 2010 ، ص 127 .

[14] حوار مأخوذ من الفيلم " دورية نحو الشر " سيناريو و إخراج عمار العسكري ، تقديم قناة التلفزيون الجائري .

[15] محمد صالح الصديق ، دليل الباحثين و المؤرخين الجزائريين ، ثورة أول نوفمبر 1954–1962 ، دار هومة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2009 ، ص 41 .

[16] شرقي محمد ، الفيلم الثوري الجزائري بين الملحمة الثورية و سينما السير ، مجلة الكلم ، جامعة وهران ، العدد 06،جوان 2018 ، ص (13–14) .

[17] سامية مرابطين ، م س ، ص 313 .